جورج حبش

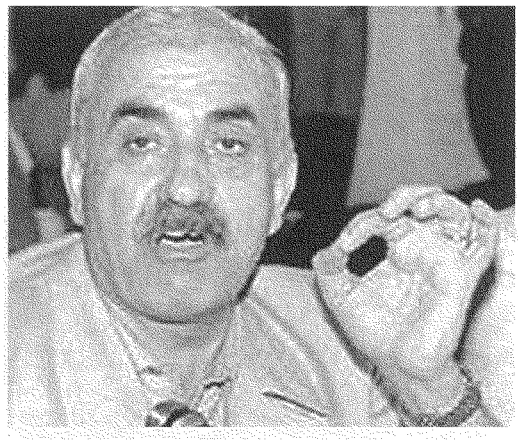

مؤسِّس حركة القوميِّين العرب، والجبهة الشعبيَّة لتحرير فلسطين.

«حكيم الثورة» اختار أن يجيب عن أسئلة الآداب بتقديم رؤيته وتقويمه النقديّ الشامل للمقاومة الفلسطينيَّة وللانتفاضة.

جوهر المقاومة الفلسطينيَّة

لئن راكمت المقاومةُ الفلسطينيَّةُ عبر تجاربها ما هو مشرقٌ من إرثٍ نضاليّ يرتقي إلى الشهادة من أجل أهداف نبيلة في التحرُّر الوطنيّ والإنسانيّ، فإنَّ كشف الجوهر الذي قامت على أساسه هذه المقاومةُ المشروعةُ بات مَدْخلاً لتقويم التجربة برمّتها عبر تحليل سياسيّ مفصّل. ما أودّ التركيزَ عليه الآن، إلى جانب البعد السياسيّ، هو تناوُلُ الأبعاد الإنسانيَّة في تجربة المقاومة، باعتبار أنَّ هذه القضية مغيَّبة، وما يسيطر على النقاشات الآن هو جدوى المقاومة أو جدوى استمرارها. ما يمكن أن أقدِّمه هنا هو بمثابة إسهام في فهمٍ أفضل لمعنى المقاومة وجوهرها.

إنَّ أهداف المقاومة الفلسطينيَّة معروفة منذ أكثر من نصف قرن، أيْ منذ النكبة وانزراعِ الاحتلال الإسرائيليّ في الأرض الفلسطينيَّة وما أحدثه من حروبِ تدميرٍ في بنية المجتمع الفلسطينيّ. وكنّا على الدوام من الداعين إلى مقاومة تحمي إنسانيَّتَها وأخلاقيَّاتِها وتطلُّعاتِها وأهدافَها في التحرير والاستقلال. غير أنَّ معرفة المعنى النظريّ الذي تأسَّستْ عليه المقاومةُ الفلسطينيَّةُ المشروعةُ والمسلّحةُ بالحقوق والإرادة والعدالة والأهداف التحرُّريَّة تقودنا إلى ما هو تاريخيّ من الثورات والانتفاضات وأشكال العصيان الوطنيّ الشامل في فلسطين، ولاسيَّما ثورةُ ١٩٣٦ والثورةُ المعاصرة التي انطلقتْ عام ١٩٦٥. والمعنى الذي تأسَّستْ عليه هذه المقاومة يقوم على استرداد الحقوق المغتصبة وفق القرارات والمواثيق الدوليَّة، وحسب الشرعيَّة الوطنيَّة الثوريَّة الناهضة التي تتنكَّب ـ بالدرجة الأولى ـ مهمّةَ التحرير: تحريرِ الأرض والوطن برمّته من الاحتلال الصهيونيّ.

انطلقت المقاومةُ الفلسطينيَّةُ كغيرها من المقاومات والثورات. وإلى جانبها كانت المقاومةُ الفيتناميَّة، والجزائريَّة، وثورةُ اليمن، والثورتان الساندينيَّة والكوبيَّة، وكفاحُ جنوب أفريقيا بقيادة نيلسون مانديلا زعيم حزب المؤتمر الأفريقيّ ضدّ نظام بريتوريا العنصريّ، وكفاحُ الجيش الجمهوريّ الإيرلنديّ من أجل الاستقلال، وغيرُها من أشكال الكفاح التي كانت تنمو في مناخات الحرب الباردة وفي ظلّ معسكريْن متصارعيْن جبّاريْن: المعسكر الاشتراكيّ الداعم لحركات التحرُّر الوطنيّ آنذاك من جهة؛ والمعسكر الإمبرياليّ الرأسماليّ الذي تقوده الولاياتُ المتحدةُ الأميركيَّةُ والغربُ الاستعماريُّ عمومًا، والذي يجد مصالحَه وأطماعَه فوق أيّ حقوقٍ مشروعةٍ للشعوب المبتلية بالنكبات وفوق أيّ اعتبار إنسانيّ. لقد قامت الثورة الفلسطينيَّة على ركيزة التحرير وطردِ الاحتلال، وتبنّتْ شعارَ حرب التحرير الشعبيَّة الطويلة الأمد للوصول إلى هدف الحريَّة والاستقلال. وهذا باعتقادي أسمى هدف في الوجود. فالشعوب المنكوبة لها حقوقٌ وواجباتٌ، ومنها الدفاعُ عن أوطانها وأراضيها من أيَّة سطوة استعماريَّة. وقد رَفَعت المقاومةُ الفلسطينيَّةُ آنذاك شعارها التحرُّريَّ المعروف لدى منظّمة التحرير الفلسطينيَّة بـ: «فداء ـ عودة ـ تحرير»، ليتطوَّر في النضال المرحليّ إلى «الحريَّة والاستقلال» ـ حريَّةِ وطنٍ واستقلالِ شعبٍ.

ومن هنا ضرورةُ التذكير بأنَّ المقاومة الفلسطينيَّة المعاصرة كانت تقوم على ما هو شرعيّ: حقّ عودةِ اللاجئين الذين طُردوا وشُرِّدوا من وطنهم فلسطين. فكانت «العودة» لهم بمثابة بريق أمل وتعريف وجوديّ للهوية الفلسطينيَّة في الشتات ومخيّمات اللاجئين، الذين مازالوا يتطلّعون إلى العودة إلى وطنهم.

طبيعة الاحتلال وأهدافه

طرحت المقاومة الفلسطينيّة عند انطلاقتها تساؤلاً كبيرًا يقود إلى معرفة طبيعة العدوّ الذي تواجهه. وتتلخّص أبرز ملامح الاحتلال الصهيونيّ بالآتي:

أولاً: عدم شرعيّته.

ثانيًا: أنّه يقوم على الرعب والإرهاب، ويَستخدم القوّةَ المفرطةَ في القتل والتدمير. ويتجلّى العنفُ المتّبعُ في السياسة الإسرائيليّة في المذابح المنظّمة. فإسرائيل التي أقامت كيانَها على أنقاض المجتمع الفلسطينيّ عمدتْ إلى المجازر منذ سنة ١٩٤٨ وما قبلها: في القدس ودير ياسين وحيفا واللد وقبيّة وكفر قاسم والصفصاف والطنطورة. وتواصلُ ارتكابَ الكثير من المجازر حتى يومنا.

ثالثًا: الطبيعة الاستعلائيّة العنصريّة الفاشيّة للاحتلال الإسرائيليّ. وهذا ما دانته وتدينه على الدوام القراراتُ الدوليّةُ والمنظّماتُ الدوليّةُ، ومنها منظّماتُ حقوق الإنسان.

إنّ الاحتلال الإسرائيليّ الذي نواجهه هو استعمارٌ من النوع اللئيم الذي يَعْمل على إلغاء الوجود الإنسانيّ العربيّ الفلسطينيّ على أرضه، وإدامةِ قهرِ ضحيّته، ومحوِ التاريخ الفلسطينيّ برمّته عبر أطروحات صهيونيّة توسُّعيّة من نسج الخرافات والأساطير والوعي المزيّف. إنّنا نواجه عدوّاً صهيونيّاً شرسًا متفوّقًا عسكريّاً واقتصاديّاً وتكنولوجيّاً وإعلاميّاً. ومشروعُه يرتبط بمشروع الغرب الإمبرياليّ المتعولم، الذي أوجده كقاعدة متقدّمة لتحقيق أهدافه في المنطقة العربيّة وللهيمنة على الوطن العربيّ.

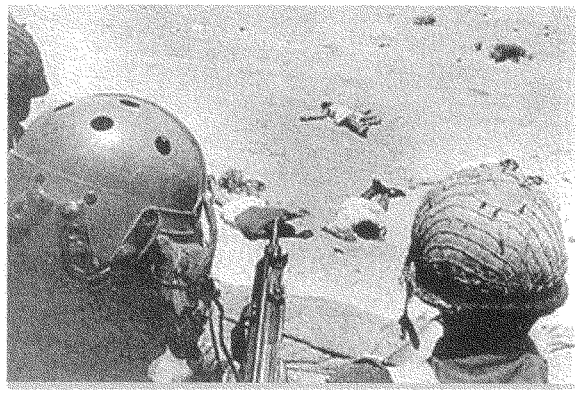

«إسرائيل... عمدت إلى المجازر منذ سنة ١٩٤٨ وما قبلها»: مجزرة دير ياسين

نتائج المقاومة

ليست تجربةُ المقاومة الفلسطينيّة محصورةً بمسألة النصر أو الهزيمة وحدها، ولا تَقْترن بطريقة سحريّة تحوّلُ الهزيمةَ نصرًا، وليست محدّدةً بإنجاز زمنيّ لتحقيق غايتها، بقَدْر ما هي معنيّةٌ بإحداث خلل في ميزان القوى. إنّ المقاومة تستند إلى مبدإ التراكمات وخلقِ خلخلةٍ في أمن واستقرار الكيان الصهيونيّ المدجّج بترسانة عسكريّة متبجّحةٍ بقوّتها التدميريّة. والحقّ أنّ الالتفاف على هذه القوّة هو مَقْصد المقاومة؛ فهذا هو ما يجعل الاحتلالَ غيرَ مطمئنّ وغيرَ سالم من الضربات التي توجّهها كتائبُ المقاومة الفلسطينيّة، وتجعل احتلالَه للأرض مُكْلفًا بشريّاً واقتصاديّاً وأمنيّاً. إنّ إحدى ثمرات هذه المقاومة هي كيفيّةُ وصولها إلى تشكيل حالة توازن في المواجهة من أجل حماية الشعب الفلسطينيّ، ومغادرةِ موقع الضحيّة التي تتلقّى الضرباتِ العسكريّةَ الإسرائيليّةَ المدمِّرة. وإحدى أهمّ النتائج الإيجابيّة للمقاومة إحداثُ شرخٍ في عمق المجتمع الإسرائيليّ، والوصولُ إلى ظاهرة الهجرة اليهوديّة المعاكسة ـ أي الهروب من دولة لم تستطع أن تجد الأمنَ لمواطنيها. وقد عملت الانتفاضةُ المجيدة والمقاومةُ الفلسطينيّةُ فعلاً على التخفيف من الهجرة اليهوديّة المتدفّقة من بعض دول العالم، وأنزلتا ضربةً في أحد أهمّ القطاعات الاقتصاديّة التي يعتمد عليه الكيانُ الصهيونيّ ـ ألا وهو قطاعُ السياحة. ولن تتوقّف المقاومةُ والانتفاضةُ حتى إجلاءِ هذا الاحتلال وتفكيكِ المستوطنات، وحتى يتوقّف العدوانُ على الشعب الفلسطينيّ.

قراءتان مضادتان

نحن اليوم نواجه قراءتَيْن للمقاومة: واحدةً تخطِّئها وتدينها كما تفعل الأطرافُ المعاديةُ حين تَنْعتها بـ «الإرهاب»؛ وأخرى تَنْظر إليها من باب «الاستراتيجيا والتكتيك.»

إنّ إسرائيل وأميركا اليوم تَعْملان على تصفية حسابهما مع المقاومة الفلسطينيّة والمقاومة اللُّبنانيّة والإسلاميّة، مثلما قامت الإمبرياليّةُ بتصفية حسابها سابقًا مع حركات التحرُّر الوطنيّ في أميركا اللاتينيّة: عبر ذَبْح ثورة السلفادور، وتصفيةِ الثورة في نيكاراغوا من خلال دعمها لعصابات الكونترا، مثلما تصفّي حسابَها اليومَ في الحصار المفروض على كوبا البطولةِ والمجدِ. ولقد جاءت أحداثُ تفجيرات ١١ أيلول لتعطي ذريعةً للإدارة الأميركيّة وشريكِها الكيان الإسرائيليّ لتصفية حسابها مع آخر معاقل المقاومة المشروعة في منطقتنا، وآخرِ منارات التحرُّر الوطنيّ والإنسانيّ: المقاومة الفلسطينيّة، والمقاومة اللبنانيّة والإسلاميّة.

أمّا القراءة الثانية المندرجة ضمن الاستراتيجيا والتكتيك، ولا تخلو من نوايا سيّئة وإدانة هي أيضًا، فتَخْدم توجُّهاتِ النظام الدوليّ الجديد وتريد التخلُّصَ من أسلوب المقاومة لتستبدله بالحوار والمفاوضات. وهذا يستدعي تفكيرًا نقديّاً وفعلَ إدراكٍ لطبيعة كلّ مرحلة مرّ بها النضالُ الفلسطينيُّ والكفاحُ المسلّحُ، ولاستهدافاتِ كلّ مرحلة في ما يسعى إليه الأعداءُ من شطبٍ للبندقيّة الفلسطينيّة ـ رمزِ كفاحِ هذا الشعب ـ ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً.

الاستعمار وبوارق الأمل

لقد حازت المقاومةُ الفلسطينيّةُ شرعيةً دوليّةً، وتسلّحتْ بمواثيق دوليّة. ولكنْ في ظلّ النظام العالميّ الجديد تصادرُ أميركا قراراتِ الأمم المتحدة وقراراتِ مجلس الأمن وتوظّفها بما يَخْدم حملاتِها العسكريّةَ وتوجُّهاتِها وسياساتِها المهيمنةَ على الكون في إطارِ ما يُدعى «العولمة» أي الأمركة.

غير أنَّ ثمَّة بوارقَ أملٍ تسير إلى جانب الانتفاضة، وهي ما نَلْحظه اليومَ عبر التحرُّكات العالميَّة المناهضة للعولمة. وهذا يعطي دفعًا وتضامنًا مع المقاومة وأهدافِها: فالمقاومة تُفْهم بصورةٍ أفضل لدى الخطاب المتحرّرِ من الهيمنة ومن النظرة الكولونياليَّة.

والرأي العامّ العالميّ يُدْرك أكثرَ من أيّ وقت مضى أنَّ النضال الفلسطينيّ من أجل التحرُّر الوطنيّ هو نضال مشروع في كل الوجوه، بما فيه المقاومة. وهذا ما نقرأه من خلال حملات التضامن والمؤتمرات الدوليَّة مع الشعب الفلسطينيّ، وما تقوم به قوى التضامن الأوروبيّ اليومَ من قَبيل إرسال وفود متضامنة مع الشعب الفلسطينيّ تطالب بالحماية الدوليَّة لشعبنا الفلسطينيّ الأعزل وتدعو إلى انسحابِ آلة الحرب الإجراميَّة الإسرائيليَّة وتفكيكِ المستوطناتِ وإقامةِ الدولة الفلسطينيَّة وعاصمتُها القدس وعودة اللاجئين. فالرأي العامّ العالميّ ينتقد إجمالاً ممارسات إسرائيل الإرهابيَّة، من قتل وتدمير ضدّ الشعب الفلسطينيّ، ومن استمرار الحصار والتوغُّل في المدن الفلسطينيَّة واحتلالها. وما جاءت هذه الظاهرة الدوليَّة المتضامنة مع الانتفاضة والمقاومة، من قبل المنظمات الإنسانيَّة والحقوقيَّة، إلاَّ لتؤكّد الرفضَ الدوليَّ للهيمنة الأميركيَّة والانحيازِ الأميركيّ المطلق إلى جانب إسرائيل. ثم نأتي إلى وجه آخر مشرق يتمثَّل في المطالبة الدوليَّة (كما حصل في دوربان) باعتبار إسرائيل دولةً عنصريَّةً، وما نادت به المنظّماتُ غيرُ الحكوميَّة لتثبيت هذه الحقيقة. وثمّة ظاهرةٌ دوليَّةٌ مشرقةٌ ثالثة، تتمثَّل في المطالبة بمحاكمة مجرمي الحرب في إسرائيل، وعلى رأسهم المجرم الدمويّ شارون لضلوعه في الكثير من المجازر. وهذه الظاهرة تُبْرز الانحطاطَ الأخلاقيَّ في السلوك الإرهابيّ لدولة إسرائيل، وتُبْرز شارون سفّاحَ العصر سفّاكًا لدماء الشعوب.

«وجهٌ مشرقٌ يتمثَّل في المطالبة الدوليَّة... باعتبار إسرائيل دولة عنصريَّة»: تظاهرة في دوربان

عن قانون العيْن بالعيْن، واللاعنف

كلّ ذلك يأتي مترافقًا مع مقاومة فلسطينيَّة توجِّه الضرباتِ إلى العدو الإسرائيليّ. وربما قد يَصْلح هنا قانونُ العيْن بالعيْن، كي لا نَصِلَ بنضالنا الوطنيّ التحرُّريّ إلى حالة فوضى وعبث ويأس وإحباط جرّاءَ الاكتفاء بتلقّي الضربات تلو الضربات. فهذه الأفعال العدوانيَّة يَلْزمها ردُّ فعلٍ ثوريّ عنيف أيضًا، ومن حجم الضربات التي يوجِّهها الجيشُ الإسرائيليّ.

إنَّ الشعبَ الفلسطينيّ يريد العيشَ بسلام مع أشجاره وبيوته ومزروعاته ومدارسه وجامعاته ومقدّساته ومدنه وقراه. يريد أن يعيش بسلام على أرضه، ويريد أن يغادر أماكنَ اللجوء ويعودَ إلى أرضه التي طُرد منها. وكل ذلك لا يأتي من خلال طاولة المفاوضات التي تُبقيه في موقع الضحيَّة، حيث يَفْرض الجلاّدُ الصهيونيُّ شروطَه ويَختزل القضيَّةَ برمّتها إلى مسألة أمنه واستيطانه ومصالحه.

إنَّ القراءة الخاطئة للمقاومة تَطْرح أسئلةً تَفْترض القدرةَ على معرفة ماهيّة هذه المقاومة، والإصغاء إلى الضحيّة وضعفِها الإنسانيّ في ظلّ حالة اللاتوازن بين القوى المتصارعة. فالمقاومة تحاربُ بوسائل بسيطة عدوّاً إسرائيليّاً مدعومًا أميركيّاً، ويَسْتخدم في حروبه أسلحةً تدميريَّةً محرَّمة دوليّاً؛ ناهيك عن التقدُّم الذي أحدثته إسرائيلُ في صناعاتها الحربيَّة وترسانتها النوويَّة. أضف إلى ذلك ما توصلتْ إليه العقليَّةُ الصهيونيَّةُ من عسكرة المجتمع الإسرائيليّ: فجميعُ المستوطنين اليهود موزَّعون على القطع العسكريَّة والثكنات. وفي ظلّ الأزمات التي تنتاب إسرائيلَ يتحوّل المجتمعُ الإسرائيليُّ بأسره إلى جنود احتياط في الجيش الإسرائيليّ. وأمَّا المقاومةُ الفلسطينيَّةُ فتتناول موضوعًا محرِّضًا. وهي بمثابة تعبير رمزيّ في مواجهة القوّة الإسرائيليَّة والقبضة الحديديَّة. ومع المقاومة يتعاظم الشعورُ الوطنيُّ لدى شعبنا من الناحية المعنويَّة. كما أنَّ ثمَّة علاقةً وثيقةً بين النضال الجماهيريّ والمقاومة المسلّحة؛ فالمقاومة فعلٌ يلتزم القضايا الكبرى. أمَّا النضال السلميّ المتجسّد بقانون اللاعنف فهو بمثابة وعظٍ لا يحقّق أهدافَه مع عدو صهيونيّ شرسٍ وإلغائيٍّ يتميّز بالطبيعة الإنكاريَّة لحقوق الضحايا...

البعد الأخلاقيّ والإنسانيّ للمقاومة

لا يُمْكن اعتبارُ المقاومة الفلسطينيَّة قضيةَ أفرادٍ أو مجموعةٍ خارجةٍ عن القانون، كما تدّعي دوائرُ القوّة المحتلّة أو السلطةُ الفلسطينيَّةُ. بل إنَّها تمثّل قضيَّةَ الشعب الفلسطينيّ بأكمله، وتَنْهض في مهمّة الدفاع عن الشعب وممتلكاته من أيّ عدوان إسرائيليّ. فواجبُ المقاومة يتعلّق بشكل أساسيّ، إذن، بموضوع حقوق الإنسان، باعتبار أنَّ القوانين الدوليَّة لم تَفْرض على الكيان الإسرائيليّ المعتدي مطلبَ الحماية الدوليَّة التي يطالبُ بها شعبُنا الفلسطينيُّ ويتفهمّها الرأيُ العامُّ العالميُّ باعتبارها تطبيقًا مشروعًا من أجل حمايةِ حقوق الإنسان وتوفير الأمن لشعبنا المستهدف في حرب الإبادة الإسرائيليَّة. من هنا فإنَّ مركزَ الصدارة في مهامّ المقاومة الفلسطينيَّة هو الدفاعُ عن النفس من خطر الإرهاب الإسرائيليّ والفظاعاتِ الوحشيَّة الإسرائيليَّة. وثمّة أساليبُ مختلفةٌ تخوض فيها المقاومةُ صراعَها مع عدوّها في تجارب مضنية، باعتبار أنَّ أسلحتها خفيفةٌ أمام ما يَمْلكه العدوُّ من أسلحة تدميريَّة. ونجد أنّ أكثرَ وقاحةٍ تتَّبعها السياسةُ الإسرائيليَّةُ

الأميركيّة هي الغوصُ في التفاصيل الأمنيّة فقط، في حين أنّ الضحيّة الفلسطينيّة وُجدتْ لتبقى ضحيةً وتُذْبَح. وهذه المعادلة هي التي تَعْمل المقاومةُ الفلسطينيّةُ على تغييرها؛ وذلك ما يندرج في البعد الإنسانيّ والأخلاقيّ للمقاومة. إنّنا نرفض الكليشيهات المزيَّفةَ والتشويهَ المتّبعَ من قبل الإدارة الأميركيّة والسياسة الإسرائيليّة في اعتبار المقاومة «إرهابًا،» بينما الاحتلالُ يتربَّع على قمّة الإرهاب وتغمض العينُ الأميركيّةُ عن رؤية الممارسات الإرهابيّة للاحتلال الإسرائيليّ. إنّ شعبنا اليوم يواجه القوّةَ الإسرائيليّةَ الأميركيّةَ القاتلة؛ والسلام مستحيل مع القوّة.

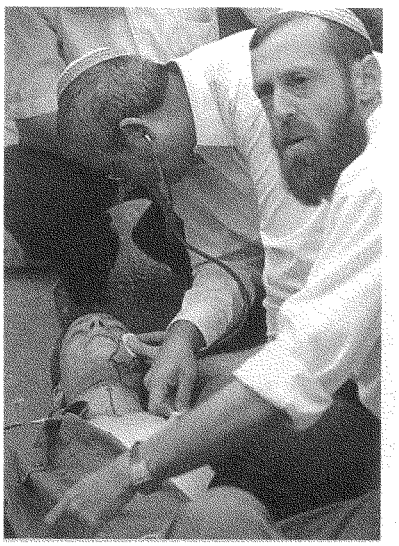

«العدوّ الصهيونيّ لا يَفْهم سوى لغة المقاومة بالنار وتكبيده الخسائرَ في صفوف جنوده ومستوطنيه المسلّحين»

إنهاء الاحتلال لا يتمّ إلاّ بلغة المقاومة لا المفاوضات

وفي مرحلة بالغة التعقيد كالتي نمرّ بها، تَخْرج علينا الأصواتُ المطالبةُ بوقف الانتفاضة والمقاومة. إنّ الحذر النقديّ يتطلّب من بعض التيارات المتهافتة في الطرح والبراغماتيّة أن تَقْتدي بمسؤوليّة النقد، فتُجري قراءةً وتقويمًا موضوعيَّيْن لما يجري من صراع، لا أن تَعْمد إلى توبيخ الضحيّة ولومها. لدينا احتلالٌ استعماريٌّ يجب إنهاؤه. وزوالُ الاحتلال لا يتمّ بالخطابات الفارغة، ولا بتقبيل الأيدي ولا بالاستجداء والمفاوضات. العدوّ الصهيونيّ لا يَفْهم سوى لغة المقاومة بالنار، وتكبيدِه الخسائرَ في صفوف جنوده ومستوطنيه المسلّحين في مستوطناتهم. وإنّ الدروس المستفادة من تجارب الشعوب والثورات التي عانت مرارة الاستعمار، كتجربة المقاومة الفيتناميّة، خيرُ برهان على إمكانيّة هزيمة الأعداء مهما بلغوا من قوّة.

إنّ الفلسطينيّ وُجِدَ على أرضه ليكون سيّدَ الأرض، وسيّدَ الدولة، وسيّدَ الحقوق والعدالة. والمقاومة هي التي تسيّده، لا التسوُّلُ والاستجداءُ على طاولة المفاوضات، ولا الرضوخُ والانهزاميّةُ. كيف نَصُون كرامةَ الفلسطينيّ؟ كيف يكون سيّدًا في دولته؟ كيف تكون لنا دولةٌ فلسطينيّةٌ كاملةُ السيادة؟ هذا ما تجاوب عنه اليومَ المقاومةُ الفلسطينيّةُ البطلة المشروعة والانتفاضةُ المجيدة.

انتصار المقاومة في لبنان محرِّض على الانتصار في فلسطين

إنّنا نخوض صراعًا بالغَ التعقيد، ومعاركُنا مع العدوّ تَنْدرج دائمًا في إطار الكرّ والفرّ، والنضالُ يمرّ في مراحل متنوِّعة. واليوم ثمّة مراحلُ وأساليبُ جديدةٌ تتّبعها المقاومةُ والانتفاضةُ الفلسطينيّة. وعلينا أن نفرِّق ما بين الخسارة والهزيمة: فالمقاومة حياةٌ تقرِّبنا من الانتصار لأنّها تَبْعث المعنويّاتِ في صفوف شعبنا، وبقدْر ما نكون مقاومين نكون منتصرين. وهذا ما أكّدته التجربةُ البطوليّةُ للمقاومة اللبنانيّة والإسلاميّة (حزب اللّه) في جنوب لبنان، على الرُّغم من وجود فوارق بين واقع المقاومة الفلسطينيّة ومثيلتها اللبنانيّة. وهذا يُمْكن أن يكون محرِّضًا جديدًا على الانتصار في فلسطين أيضًا.

عندما نكون أمام عوامل جديدة طرأتْ على الصراع، مثلما تَبَلْوَرَ اليومَ بعد الحملة العسكريّة الأميركيّة عقب الحدث الأميركيّ في ١١ أيلول، فإنّ من الطبيعيّ أن يزداد إصرارُنا على مسألة المقاومة والدفاع عن قيم القانون الإنسانيّ والعدالة، خاصةً أنّنا نكتشف اليوم أنّ الهجمة الإسرائيليّة الأميركيّة المسعورة تأتي تحت ذرائع «القانون،» وكأنّ استهداف الأعداء للمقاومة الفلسطينيّة واللُّبنانيّة يُفضي إلى العدالة! ويصبح الآن الهمُّ الأكبرُ للإدارة الأميركيّة وشريكتها إسرائيل هو ذبحَ المقاومة المشروعة ووقفَ الانتفاضة. ومع هذه الغطرسة الإسرائيليّة الأميركيّة نكون أمام العلامات التالية:

١ ـ فشلُ الشرعيّة الدوليّة المصادَرَةِ من قِبل الإدارة الأميركيّة، إذ إنّها لم تَفْرض أيّاً من القوانين الدوليّة على المحتلّ الإسرائيليّ، ولم تَحْدم قضايا حقوق الإنسان المتمثِّلة في الحماية الدوليّة لشعبنا الفلسطينيّ الأعزل.

٢ ـ ازديادُ الدعم الأميركيّ غيرِ المشروط للاستيطان الإسرائيليّ مجدّدًا، وإعطاءُ الضوء الأخضر لجنرالات الحرب والدمار في إسرائيل، وتبنّي الإدارة الأميركيّة للسياسة الإسرائيليّة الإرهابيّة والدفاعُ عنها وتبريرُ جرائمها.

٣ ـ فرضُ إملاءات وشروط مهينة على السلطة الفلسطينيّة، والطلبُ المستمرّ منها إدانةَ المقاومة ووقفَ الانتفاضة وتطبيقَ ما يسمّى «وَقْفَ إطلاق النار حسب خطّة ميتشِلْ ـ تينيت.» وقد أدّى ذلك إلى اعتقالات السلطة الفلسطينيّة للمناضلين المنتفضين والمجاهدين، وهو ما يَنْدرج في المحاولات الإسرائيليّة لاستهداف الوحدة الوطنيّة الفلسطينيّة.

٤ ـ ومع تطوُّرات الهيمنة الأميركيّة والهجمة الصهيونيّة نَلْحظ انكفاءَ النظام العربيّ الرسميّ في أجواء الصمت والتفرُّج على ذبح الانتفاضة الفلسطينيّة وعلى الاستفراد الأميركيّ الإسرائيليّ بالمقاومة. كما نَلْحظ تقوقعَ الأحزاب والقوى الشعبيّة العربيّة، وعجزَها عن ممارسة الضغوط وعن استنفار الشارع العربيّ.

٥ ـ وقوعُ السلطة الفلسطينيّة في فخّ الازدواجيّة والغموض. وهو ما يقودنا إلى المطالبة المستمرّة بتوسيع المشاركة الجماعيّة للقيادة، وبإشاعة الديموقراطيّة، ومحاسبةِ الفساد، كلُّ ذلك من أجل تصليب الوحدة الوطنيّة والخطاب الفلسطينيّ. كما أنّنا نطالب بوقفة تقويميّة مسؤولة بعد الفشل الذريع لاتفاقيّات أوسلو وتطبيقاتها، التي عارضناها منذ البداية لأنّها لا تقود إلى حقوق الشعب الفلسطينيّ

في العودة وإقامة دولته الكاملة السيادة على أرضه وعاصمتُها القدس؛ كما لم تُجبْ هذه الاتفاقيّات عن وجود المستوطنات وتفكيكها. ونطالب أيضًا العملَ المؤسَّساتيَّ على توفير الحماية للانتفاضة. وربما لم يَفْهم البعضُ سببًا مباشرًا، ولا في إطار التكتيك السياسيّ، لِمَ تدين السلطةُ عمليّاتِ كتائب المقاومة الفلسطينيَّة بما فيها تلك التي تَسْتهدف جنودَ الاحتلال الإسرائيليّ في الضفّة وقطاع غزّة. وهذا بدوره يقود إلى عدم تبنِّي السلطة الفلسطينيَّة للمقاومة، أيْ إلى التخلّي عنها؛ في حين أنّنا نجد في تجربة المقاومة اللبنانيَّة والإسلاميَّة أنّ السلطة اللبنانيَّة تبنّتها ومازالت إلى الآن تدافع عن شرعيَّة وجودها.

إنّ تحريرَ فلسطين وتحريرَ الأراضي العربيَّة من الاحتلال الصهيونيّ يَلْزمهما رؤيةٌ سياسيَّة عربيَّةٌ ممثلةٌ وواضحة، مادامت قد توفّرت الإرادةُ الشعبيَّةُ. ومن هنا نتساءل عن كيفيَّة مغادرة الخطاب العربيّ الرسميّ والشعبيّ موقعَ العجز ليتحمّل مسؤوليَّةً مباشرةً في الدعم المطلوب للانتفاضة والمقاومة الفلسطينيَّة، والدفاعِ المطلوب عن مشروعيَّتها، والدفاع عن قيم القانون والعدالة

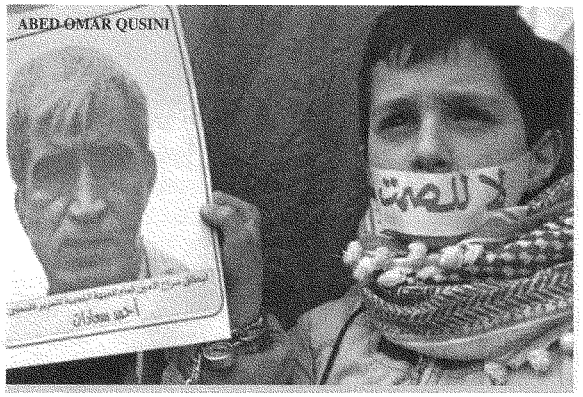

«فرضُ إملاءات... على السلطة الفلسطينيَّة... أدّى إلى اعتقالات»: تظاهرة تطالب بإطلاق سراح أحمد السعدات، أمين عام «الشعبيَّة»

وحقوق الإنسان التي أقرّتها مواثيقُ الشرعيَّة الدولة وتطبيقاتها في توفير الحماية الدوليَّة للشعب الفلسطينيّ الأعزل.

من المؤسف أن تصل الحياةُ السياسيَّةُ والثقافيَّةُ والفكريَّةُ العربيَّةُ إلى هذا المستوى من الانحطاط، وإلى أسفل درك الخوف والرعونة والاستجداء من إمبراطوريَّة الشرّ الأميركيَّة وربيبتها المدلَّلة إسرائيل. لكنّنا نجد في الانتفاضة بارقةَ أملٍ للخروج من المأزق الذي فرضتْه السياسةُ الإسرائيليَّةُ، وتمرّدًا على الهيمنة والغطرسة الأميركيَّة ـ الإسرائيليَّة على الوطن العربيّ. لقد بلّغت الانتفاضةُ والمقاومةُ الفلسطينيَّةُ واللبنانيَّة قيمَهما لتكونا ضميرًا وصوتًا للعدالة المفقودة على هذه الأرض، ولتكونا صورةً لأحرار العالم وللخطاب المتحرِّر: صورةً نبيلةً بأهدافها وتطلُّعاتها في التحرُّر والاستقلال.

إنّ الانتفاضة هي صرخةُ حريَّةٍ، ونموذجٌ حضاريٌّ يَكْتب بالدم حقوقَ الفلسطينيّ على أرضه. والمقاومة الفلسطينيَّة هي التي تحمي هذا الحقَّ الأبديَّ: حقَّ الضحيَّةِ في الثورةِ على الطغيان.

عمّان